زهر البساتين

من

مواقف العلماء والربانيين

جمع وترتيب

الدكتور سيد بن حسين العفاني

الجزء الأول

الناشر

دار العفاني

القاهرة: ٣ درب الأتراك الدور الثاني خلف الجامع الأزهر

ت: ٠١٠٥٤٦٤٦٤٠ / ٠١٠٥١٠٨٢٥٧

بني سويف: بميدان مجمع المحاكم

ت: ٠١٠١٧٥٦٢٩٦ / ٠٨٤٢٣١٧٣٤٤

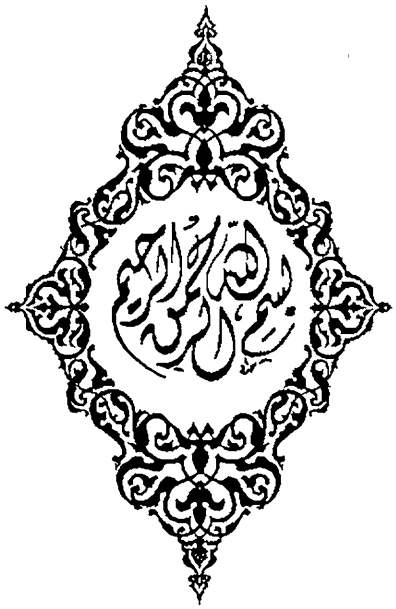
بسم الله الرحمن الرحيم

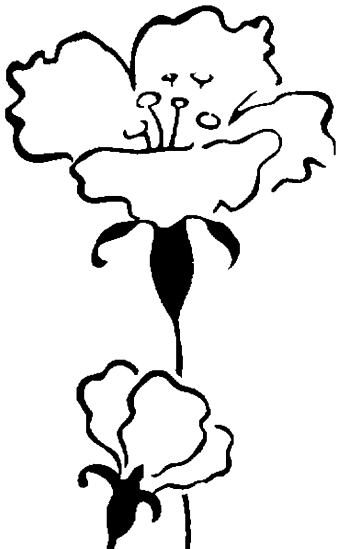

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الرَّاحِلَيْن الكريمَيْن

♥ فضيلة الشيخ الوالد المُكَرَّم: محمد صفوت نور الدين شيخ أهل السنة والجماعة بمصر ورئيس جماعة أنصار السنة.

♥ فضيلة الشيخ زين شباب الدعوة السلفية ببني سويف: سيد عبدالعظيم فايد من رزقه اللَّه سببًا من أسباب الشهادة نسأل اللَّه أن يتقبَّله في عداد الشهداء.

إلى الراحلَيْن:

بِنْتُم وبِنَّا فما ابتلَّتْ جوانحُنَا ... شوقًا إليكم ولا جَفَّتْ مآقينا

تكادُ حينَ تُناجيكم ضمائِرُنا ... يقضي علينا الأسى لولا تَأَسِّينا

ليُسقَ عهدكمُ عهد السرورِ فما ... كنتم لأرواحنا إلا رياحينا

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

✍ إن الحمد للَّه، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

* ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

✍ **أما بعد:**

فإن أصدق الحديث كتاب اللَّه، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

✍ **أما بعد:**

فإن طلب الحق أحلى في النفوس الأبيّة من الشمس في رائعة النهار،

وقطب تدور عليه همم الأخيار، وعُباب تنصبّ منه جداول شمائل الأطهار، ومتى علت الهمة في طلب الحق، حملت على مفارقة العوائد وطلب الأوابد، فإن الحق في مثل هذه الأعصار قلّما يعرفه إلا واحد، وإذا عظم المطلوب قلّ المساعد، فإن البدع قد كثُرت، وكثرت الدعاة إليها، والتعويل عليها، وطالب الحق ـ اليوم ـ شبيه بطُلاّبه في أيام الفتْرة، وهم سلمان الفارسي، وزيد بن عمرو بن نُفيل وأضرابهما، رحمهما اللّه تعالى، فإنهم قدوة لطالب الحق، وفيهم له أعظم أُسوة، فإنهم لما حرصوا على الحق، وبذلوا الجهد في طلبه، بلّغهم اللّه إليه، وأوقفهم عليه، وفازوا من بين العوالم الجمّة، فكم أدرك الحق طالبُه في زمن الفترة! وكم عمي عنه المطلوب له في زمن النبُوّة! فاعتبر بذلك، واقتد بأولئك، فإن الحق ما زال مصونًا عزيزًا، نفيسًا كريمًا، لا يُنال مع الإضراب عن طلبه، وعدم التشوّف والتشوّق إلى سببه، ولا يهجم على المبطلين المعرضين، ولا يُفاجئ أشباه الأنعام الغافلين، ولو كان كذلك ما كان على وجه الأرض مبطل ولا جاهل، ولا بطّال ولا غافل»[1].

إن الحق لا ينثني ولا ينحني، إنما يسير في طريقه قيمًا لا عوج فيه، قويًّا لا ضعف فيه، صريحًا لا مداورة فيه، إنه ليس ملكًا لأحد حتى يجامل فيه، إنما هو للّه عز وجل، والحق قد يغزو قلوب ذوي السلطان والجاه فيصبحون له جندًا وخدمًا فيفلحون، ولكنه هو لا يفلح إذا كان من جند السلطان وخدمه، فهو من أمر اللّه، وهو أعلى من ذوي السلطان والجاه.

الحق له قوته وصدقه وثباته، والباطل له زهوقه واندحاره وجلاؤه، ومن طبيعة الصدق أن يحيا ويثبت، ومن طبيعة الباطل أن يتوارى ويزهق.

مهما بدا للباطل وللزيف صولة ودولة، فإنه ينتفخ وينتفج وينفش؛ لأنه

(١) «إيثار الحق على الخلق» للسيد مرتضى اليماني ص(٢٤) ـ مطبعة الآداب والمؤيد.

لا يطمئن إلى حقيقة، ومن ثم يحاول أن يموّه على العين، وأن يبدو عظيمًا كبيرًا ضخمًا راسخًا، ولكنه هش سريع العطب، كشعلة الهشيم ترتفع في الفضاء عاليًا ثم تخبو سريعًا وتستحيل إلى رماد، بينما الجمرة الذكية تدفئ وتنفع وتبقى، وكالزبد يطفو على الماء ولكنه يذهب جفاء ولا يبقى.

* وصدق اللَّه تعالى إذ يقول: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ﴾ الآية [الرعد: ١٧].

إن الحق له العقبى وله البقاء.

إن كلمة الحق الطيبة كالشجرة الطيبة ثابتة سامقة مثمرة، ثابتة لا تزعزعها الأعاصير، ولا تعصف بها رياح الباطل، ولا تقوى عليها معاول الطغيان.

والكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة قد تهيج وتتعالى وتتشابك، ويُخيل إلى بعض الناس أنها أضخم من الشجرة الطيبة وأقوى، ولكنها تظل نافشة هشة، لا قرار لها ولا بقاء.

والحق الأصيل لا يموت ولا يُزوي، مهما زحمه الشر والزيف وأخذ عليه الطريق، إن الخير بخير، وإن الشر بِشَرّ.

إن الحق نور تشرق به النفس، فترى الطريق واضحة إلى اللَّه لا يشوبها غبش ولا يحجبها ضباب، غبش الأوهام والخرافات، أو غبش الشهوات وضباب الأطماع، ومتى رأت الطريق سارت على هدى لا تتعثر ولا تضطرب ولا تتردد ولا تحتار.

والحق نور يشرق في القلب، فيشرق به الكيان البشري يرقرقه ويجلوه ويطلقه من إسار الأرض ومن طينها اللازب المعتم.

ولا بد للحق من أناس يصدعون به ولا يكتمون، فالساكت عنه شيطان أخرس. قال ابن القيم: «فتارك حقوق اللَّه التي عليه أسوأ حالاً عند اللَّه ورسوله من مرتكب المعاصي؛ فإن ترك الأمر أعظم من ارتكاب النهي من أكثر من ثلاثين وجهًا ذكرها شيخنا في تصانيفه، ومَن له خبرة بما بعث اللَّه به رسوله ﷺ، وبما كان عليه أصحابه رأى أن أكثر مَن يُشار إليهم بالدين هم أقل الناس دينًا، واللَّه المستعان، وأيّ دين وأيّ خير فيمن يرى محارم اللَّه تُنتهك وحدوده تُضاع، ودينه يُترك وسنَة رسول اللَّه ﷺ يُرغَب عنها وهو بارد القلب ساكت اللسان؟ شيطان أخرس! كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق، وهل بلية الدين إلا من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياساتهم فلا مبالاة بما جرى على الدين[1].

وخيارهم المتحزن المتلمظ، ولو نُوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذّل، وجدّ واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وُسعه. هؤلاء ـ مع سقوطهم من عين اللَّه ومَقْت اللَّه لهم ـ قد بُلوا في الدنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون؛ وهو موت القلوب؛ فإن القلب كلما كانت حياته أتمّ كان غضبه للَّه ورسوله أقوى وانتصاره للدين أكمل».

❑ ثم قال: «ورأس التقوى والإحسان خُلوص النية للَّه في إقامة الحق، واللَّه سبحانه لا غالب له، فمن كان معه فَمَن الذي يغلبه أو يناله بسوء؟ فإن كان اللَّه مع العبد فمن يخاف؟ وإن لم يكن معه فمن يرجو؟ وبمن يثق؟ ومَن ينصره من بعده؟ فإذا قام العبد بالحق على غيره وعلى نفسه أولاً، وكان قيامه باللَّه وللَّه لم يقم له شيء، ولو كادَتْه السموات والأرض والجبال لكفاه اللَّه مؤنتها، وجعل له فرجًا ومخرجًا، وإنما يُؤتى العبد من تفريطه وتقصيره في

(١) وهل أفسد الدين إلاّ الملوك ... وأحبار سوء ورهبانها
لقد رتع القوم في جيفة ... يبين لذي اللب أنتانها

هذه الأمور الثلاثة، أو في اثنين منها، أو في واحد؛ فمن كان قيامه في باطل لم يُنصَر، وإنْ نُصِر نصرًا عارضًا فلا عاقبة له وهو مذموم مخذول، وإن قام في حق لكن لم يقم فيه للَّه وإنما قام لطلب المَحْمَدة والشكور والجزاء من الخلق أو التوصل إلى غرض دنيوي كان هو المقصود أولاً، والقيام في الحق وسيلة إليه، فهذا لم تُضمَن له النصرة؛ فإن اللَّه إنما ضمن النصرة لمن جاهد في سبيله، وقاتل لتكون كلمة اللَّه هي العليا، لا لمن كان قيامه لنفسه وهواه»[1].

❑ وفي زمننا هذا الذي غلبت فيه المنكرات و«اقشعرت الأرض، وأظلمت السماء، وظهر الفساد في البر والبحر من ظُلم الفجرة، وذهبت البركات، وقلّت الخيرات، وهزلت الوحوش، وتكدّرت الحياة من فسق الظلمة، وبكا ضوء النهار، وظلمة الليل من الأعمال الخبيثة، والأفعال الفظيعة، وشكا الكرام الكاتبون إلى ربهم من كثرة الفواحش، وغلبة المنكرات والقبائح، وهذا منذر بسيل عذاب قد انعقد غمامه، ومؤذن بليل بلاء قد ادْلهمّ ظلامه»[2].

وإذا تُرِك عوام المسلمين البسطاء لشُبَه الزنادقة والمجرمين والمنافقين، «وإذا صادفت هذه العقول والأسماع والأبصار شبهات شيطانية، وخيالات فاسدة، وظنون كاذبة، جالت فيها وصالت، وقامت بها وقعدت، واتسع مجالها، وكثر بها قيلها وقالها، فملأت الأسماع من هذيانها، والأرض من دويانها.

وما أكثر المستجيبين لهؤلاء والقابلين منهم، والقائمين بدعوتهم، والمحامين عن حوزتهم، والمقاتلين تحت ألويتهم، والمكثرين من سوادهم،

(١) «إعلام الموقعين عن رب العالمين» لابن قيم الجوزية (٢/ ١٥٨ ـ ١٥٩).
(٢) «الفوائد» لابن القيم ص(٨٨) بتحقيق محمد عيون.

ولعموم البلية بهم، وضرر القلوب بكلامهم، هتك اللَّه أستارهم في كتابه غاية الهتك، وكشف أستارهم غاية الكشف، وبيّن علاماتهم وأعمالهم وأقوالهم»[١].

❑ يقول الشيخ ابن باز ـ رحمه اللَّه ـ: «أما عن مجابهة الغزو المتمثل في الإذاعات والكتب والصحف والمجلات والأقلام التي ابتليت بها المجتمعات الإسلامية في هذا العصر وأخذت تشغل أكثر أوقات المرء المسلم والمرأة المسلمة رغم ما تشتمل عليه في أكثر الأحيان من السم الزعاف والدعاية المضللة فهي من أهم المهمات لحماية الإسلام»[٢].

❑ ولا نجاة إلا بالمناصحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال اللَّه تعالى: ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾ [الأعراف: ١٦٥].

وهنا تبدو الحاجة إلى العلم والعلماء وتربية الأمة على مواقف العلماء الربانيين الذين لا يخشون في اللَّه لومة لائم، فخير وسيلة للتربية هي التربية بالقدوة ولن تجدها إلا ببستان السلف تجد أريجها الفوّاح تعبق به القلوب والأرواح.

أزاهيرهم مؤمنات العبير وأطيارهم قانتات الزَّجَلْ

أو:

حدّث عن القوم فالألفاظ ساجدة خلف المحاريب والأوزان تبتهل

«فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلّة مبالاتهم بسطوة السلاطين، ولكنهم اتكلوا عى فضل اللَّه أن يحرسهم،

(١) «الوابل الصيب من الكلم الطيب» لابن القيم ص(١١٢).
(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» للشيخ ابن باز (١/ ٣٩٢).

ورضوا بحكم اللَّه تعالى أن يرزقهم الشهادة، فلما أخلصوا النيّة أثّر كلامهم في القلوب القاسية فليّنها وأزال قساوتها، وأما الآن فقد قيدّت الأطماع ألسن العلماء فسكتوا، وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا، ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا؛ ففساد الرعايا بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء، وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا فلم يقدر على الحسبة على الأراذل فكيف على الملوك والأكابر»[1].

❑ واعلم أن من استولى عليه شهود جلال اللَّه وعظمته وكبريائه، فغاب بذلك عن شهود هيبة الخلق، وخوف سطوتهم وطغيانهم، ولم يشغله الذهول بما هو مهتم به عن ملاحظة الحق ومشاهدة الإخلاص، وتحقق حسن القصد في كل حركة من حركاته مثله ينبغي أن يُتصدّى للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وإلاّ فلا.

*** يقول الإمام ابن النحاس الدمشقي:**

«فمن أخلص للَّه النيّة أثّر كلامه في القلوب القاسية فليّنها، وفي الألسن الذربة فقيّدها، وفي أيدي السَّلَطة فعقلها.

وأما زماننا هذا فقد قيّد الطمع ألسن العلماء، فسكتوا إذْ لم تساعدْ أقوالهم أفعالهم، ولو صدقوا اللَّه لكان خيرًا لهم.

فإذا نظرنا إلى فساد الرعية وجدنا سببه فساد الملوك، وإذا نظرنا إلى فساد الملوك وجدنا سببه فساد العلماء، وإذا نظرنا إلى فساد العلماء وجدنا سببه ما استولى عليهم من حبّ المال والجاه وانتشار الصيت ونفاذ الكلمة، ومداهنة المخلوقين وفساد النيات في الأفعال والأقوال، وإذا أراد واحد منهم

(١) «إحياء علوم الدين» للغزالي (٧/ ٩٢).

أن ينكر على واحد من الرعية لم يستطع ذلك فكيف يستطيع الإنكار على الملوك والتعرض للمهالك ومفارقة ما استولى على قلبه من حب المال والجاه.

اللَّهم استر فضايحنا وتولّ مصالحنا، وخذ بأزمّة قلوبنا إليك، واستعملنا فيما يرضيك يا أرحم الراحمين»[١].

❑ قال ابن النحاس: «خرّج البيهقي في الشعب بإسناد حسن عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا ينبغي لامرئ شهد مقامًا فيه حق إلا تكلم به، فإنه لن يُقدّم أجله ولم يحرمه رزقًا هو له**».

قلت: وهذا الحديث فيه الحض على الإقدام والشجاعة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يعلم الإنسان يقينًا أن الأمر والنهي لن يقدما أجلاً أخره اللَّه، ولن يمنعا رزقًا قدّره اللَّه، فلا يلتفت إلى ما يلقيه الشيطان من تخذيله، وقوله: لا تتعرّض لهذا يضربوك ويقتلوك، ونحوَ ذلك، فإن الضرر وإن قلّ، والنفع وإن جلّ مقدّران، إذ لا يزيدان فتيلاً ولا ينقصان نقيرًا»[٢].

* قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ**﴾ [آل عمران: ٢١].

❑ قال القرطبي: وهذه الآية تدل على جواز الأمر بالمعروف مع خوف القتل[٣].

❑ وكثير من الناس غلب عليهم الجهل بوجوب الأمر بالمعروف والنهي

---

(١) «تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين» لابن النحاس الدمشقي ص(٦٨) ـ دار الكتب العلمية.

(٢) المصدر السابق ص(١٠٧).

(٣) «تفسير القرطبي» (٤/ ٤٨).

عن المنكر، وفضله العظيم واستولى على قلوبهم الركون إلى مداهنة الخلق وإيثار مودتهم وبقاء صحبتهم، وثقل كلمة الحق على ألسنتهم، وما يلقيه الشيطان في قلوبهم من الخوف والجبن وتقدير البعيد من الضرورة قريبًا، واعتقاد السكوت على المنكر وجوبًا، وما علموا أن التهلكة هي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن النجاة هي الأمر والنهي.

❑ قال الغزالي: «لا خلاف أن المسلم الواحد يجوز له أن يهجم على صف الكفار يقاتل، وإنْ علم أنه يُقتل، وكما أنه يجوز أن يقاتل الكفّار حتى يُقتل جاز ذلك أيضًا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

❑ وقال ابن النحاس: «يجوز للمنكر بل يُستحب أن يُعرِّض نفسه للضرب أو القتل إذا كان لإنكاره تأثير في رفع المنكرات، أو كسر جاه الفاسق أو فيه تقوية قلوب أهل الدين»[1].

وقال: «سقط عنه الوجوب وبقي الاستحباب، وهي مرتبة لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم، ولا ينالها إلاّ من جاد بنفسه للّه الكريم»[2].

❑ والعلماء والربانيون ـ وهم ورثة الأنبياء ـ وأعلم الناس بالضوابط الشرعية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما أقدموا على الإنكار بقصد أن يؤثر أثرًا في الدين، وأن يصدعوا بما أمروا به من الإنكار على الظالمين، فإذا لم يحصل أثر كفاهم قصدهم حجّة عند اللّه تعالى ووقع أجرهم على من لا يُضيع أجر المحسنين.

كما أن المنغمس في الكفار لو حصل له حال انغماسه ضربة فمات قبل أن يقتل أحدًا منهم أو يجرحه لم يُؤاخذ بتغريره بنفسه، وكان شهيدًا باعتبار

(١) «تنبيه الغافلين» ص(٧٣).

(٢) المصدر السابق ص(١٠٧).

قصده وإن لم يحصل.

وزماننا هذا يصدق فيه قول حذيفة رضي الله عنه: «يأتي على الناس زمان لأن تكون فيه جيفة حمار أحبّ إليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم»؛ لأن من تصدّى في هذا الزمان للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثقل على القلوب وإن كان خفيفًا، وسمج في العيون وإن كان لطيفًا، ورُمي بالكذب وساءت فيه الظنون، وقُصد بالأذى، وكثر أعداؤه، وقلّ أصدقاؤه، ورُمي وأُلقِي في مهاوي الردى، وأُعملت الفكر في كيفية الخلاص منه، والراحة من مشاهدته، بل في قتله واستئصال شأفته.

❑ فلا بد للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يجعل له من الصبر حصنًا حصينًا، ومن الاحتمال خِلاًّ أمينًا، وأن يوطّن نفسه على تجرّع كئوس المرارات، وتجنّب حلاوة المداهنة والمداراة، وأن يمرّن نفسه على هجر الخلق في جنب اللَّه، ويقنع في كل أحواله بنظر اللَّه، وألا يأسف على من قلاه لذلك، ولا يحزن على من فارقه وخذله في هذه المهالك، وليقطع أطماعه من الخَلق، ويثق بكفالة الحق، ويتوكّل على اللَّه فهو حسْب من توكل عليه، ويفوّض إليه في جميع أحواله، فمرجع الأمور كلها إليه.

فليتك تحلو والحياةُ مريرةٌ ... وليتك ترضى والأنامُ غضابُ
وليت الذي بيني وبينك عامرٌ ... وبيني وبين العالمين خرابُ
إذا صحّ منك الوُدُّ فالكُلُّ هيّنٌ ... وكلُّ الذي فوق التراب ترابُ
فيا ليت شُرْبي من وِرَادِك صافيًا ... وشُرْبيَ من ماء الفرات سرابُ
متى لم يكن بيني وبينك رِيبَةٌ ... فَكُلُّ نعيمٍ صدّ عنك عذابُ

❑ ومواقف الربانيين تُحيي الأمم والخير متواصل ونهره ريّان في هذه الأمة.

● وقد قال ﷺ : «**مثل أمتي مثل المطر لا يُدرى أوله خير أم آخره**»[١] .

● وقال ﷺ : «**لكل قرن من أمتي سابقون**»[٢] .

❑ لقد ذكرت في هذا الكتاب أي انحراف عن جادة الصراط المستقيم وطريق سلف هذه الأمة، ومن تصدى لهذا الانحراف.

❑ وتجد من الذين تصدوا لنصرة الإسلام في عصرنا والرد على العلمانيين تجد لبعضهم انحرافًا عن السنة والاتباع فذكرنا انحرافهم ومن تصدى لهم وبيّن عوجهم في هذا المجال فالحق أحق أن يُقال، ووجه اللَّه بغيتنا وقصدنا ومع هذا نقول: «ليس من قصد الحق فأخطأه كمن تعمّد قصد الباطل» ورحم اللَّه ابن القيم إذ يقول: «والبصير الصادق يضرب مع كل قوم بسهم ويعاشر الناس على أحسن ما عندهم».

وهنا تبدو قيمة النصيحة لحث شباب هذه الأمة على العلم، فلولا حفظ اللَّه ثم العلم لاختلطت الأمور إذ كيف يتصدى رجل لانحراف العلمانيين والرد عليهم ثم تجد له انحرافًا عن الجادة في ميدان من ميادين الإسلام، فالأمة كلها محتاجة إلى العلم حتى يتخرّج كوادر من المدافعين على الإسلام ليس في أقوالهم أو اعتقادهم أي شائبة وحتى لا نحتج إلا بمن هو خير كله.

العلم جمال لا يخفى، ونسبٌ لا يُجفَى، بعيد المرام لا يصاد بالسهام،

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي والطيالسي وأحمد وأبو الشيخ في الأمثال عن أنس، وابن حبان والبزار والرامهرمزي في الأمثال عن عمار، والبزار عن عمران بن حصين، والسهمي في تاريخ جرجان عن ابن عمر والطبراني في «الكبير» عن ابن عمرو. وضعفه النووي في «فتاويه» ص(١٢٧) بحسب ما وقف عليه من طرق. ولكن الحديث قوي.

(٢) **صحيح**: رواه أبو يعلى في «الحلية» عن ابن عمر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥١٧٢).

ولا يقسم بالأزلام، ولا يُورث عن الأعمام.

بحر لا يخوضه الملاّح، ولا تطيقه الألواح، ولا تهيّجه الرياح، جبل لا يُتسنّم إلا بُخطى الفكر، وسماء لا تصعد إلا بمعراج الفهم، ونجم لا يلمس إلا بيد المجد، لا يصلح إلا للغرس، ولا يُغرس إلا في النفس ولا يُسقى إلا بالدرس.

العِلم عِلْق لا يُباع ممن زاد، وصيد لا يألف الأوغاد، وشيء لا يُدرك إلا بنزع الروح، وغرض لا يصاب إلا بافتراش المدر، واستناد الحجر، وردّ الضجر، وركوب الخطر، وإدمان السهر، وكثرة النظر، وإعمال الفكر، بل وقف الهم كله عليه.

● قال رسول اللّه ﷺ: «**فضل العالم على العابد، كفضلي على أدناكم**»[1].

والعلماء سراج للناس، ومصابيح في الدنيا والآخرة، أعلى من القمرين والنجوم، مع أنها أرفع وأنور في المشارق والمغارب؛ لأنها يحجبها الغمام، ونور العلم لا يحجبه سبع سموات، والشمس تغيب ليلاً، والقمر يخفى نهارًا، والعلم لا يغيب ليلاً ولا نهارًا بل هو هو.

والقمران يفنيان والعلم لا يفنى، والقمران ينكسفان والعلم لا ينكسف، والقمران تارة يضران، وتارة ينفعان، والعلم ينفع ولا يضر بشرطه، والقمران في السماء زينة لأهل الأرض، والعلم في الأرض زينة لأهل السماء، وهما في الفوق ويضيئان ما تحت والعلم في قلب المؤمن، وهو في التحت، ويضيء ما فوقه وتحته، وضوءهما يقع على الولي والعدو، والعلم ليس إلا للوليّ.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي عن أبي أمامة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٠٨٩).

وشعاع الكواكب إلى أسفل، وشعاع العلم يصعد إلى العلو.

والكواكب تطلع من خزانة الفلك، والعلم يطلع من خزانة الملك، والكواكب علامة، والعلم كرامة.

والكواكب موضع نظر المخلوقين، والعلم موضع نظر رب العالمين، والكواكب نفعها في الدنيا، والعلم نفعه في الدنيا والآخرة، الشمس تحرق، والعلم يُنجي.

وإنما كانوا كالمصابيح في الآخرة؛ لأن الناس يحتاجون إلى العلماء في الموقف للشفاعة، بل وبعد الدخول - دخول الجنة - فينتفع بهم فيها كالمصابيح؛ ولذا يُقال: إن ذات العالِم تُكسى نورًا يضيء كالمصباح حقيقة، ألا ترى أن هذه الأمة تُدعى غُرًّا محجلين من آثار الوضوء، فالعالِم يتميّز على آحاد المؤمنين بأن تصير جثته كلها مضيئة، فنعمة العلم من أفخر النعم وأجزل القسَم ومن أوتيه فقد أوتي خيرًا كثير»[1].

❑ ومع العلم لا بد من التجرد للَّه عز وجل وإخلاص النيّة، فعزيز على المرء عاطفة أن يجرح بعض مواقف لأناس يدافعون عن الإسلام، أما إذا كان الولاء كله والحب والبغض للَّه وفي اللَّه فالأمر هين.. من وجد اللَّه فماذا فقد:

مَنْ فاتَهُ مِنْكَ وَقْتٌ حَظُّهُ النَّدَمُ ... ومنَ تكُن هَمَّه تسمو به الهِمَمُ
ونَاظِرٌ في سِوى مَرْآكَ حُقَّ لَهُ ... يَفيضُ مَدْمَعُهُ بالدَّمْعِ وَهُوَ دَمُ
نسيتُ كُلَّ طريقٍ كُنْتُ أَعْرِفُهُ ... إلا طريقًا يُؤَدِّيني لبَابِكُمُ
فَسَلِّني كُلَّ حالٍ كنت آلَفُهُ ... في وَصْلِه القَطْعُ ما بيني وبينكمُ

* * *

(١) «فيض القدير» للمناوي (١/١٠٧).

❑ وللَّه دُرُّ القائل:

هَنيئًا لمن أَضْحَى وأَنتَ حَبيبُهُ ... وَلَوْ أَنّ لَوْعَاتِ الغَرَامِ تُذيبُهُ
وطُوبى لِصَبٍّ أَنتَ ساكِنُ سِرِّهِ ... ولو بانَ عنه إِلْفُهُ وقَريبُهُ
وما ضَرَّ صَبًّا أن يبيتَ ومالَهُ ... نصيبٌ من الدنيا وأنتَ نَصيبُهُ
ومَنْ تَكُ راضٍ عَنْهُ في طَيِّ غيْبه ... فما ضَرَّهُ في الناس من يَسْتَغيبُهُ
عُبَيْدُك في باب الرجا مُتَضَرِّعٌ ... إذا لم تجبه أنت من ذا يجيبه
بعيد عن الأوطان يبكي بذلةٍ ... وهل ذاق طعمَ الذُّل إلا غريبُه
تَصدَّقْ على من ضاع منه زمانُهُ ... ولمَ يدْرِ حتى لاح منه مشيبُهُ[1]

❑ **أخي**: قد بيّنت في جمعي هذا أخطاء العقلانيين من المدرسة العقلية الحديثة، وزيف العلمانيين وأهل الحداثة المارقين الساخرين من دين اللَّه، وبيّنا دجل المعاندين للَّه ورسوله.

وذكرنا من تصدى لهم ودافع عن حياض الإسلام، وحرس بستانه حتى استوى على سوقه وفاح أريجه وعبقه يملأ ساحات الدنيا.

❑ وللَّه در من دافع عن الإسلام ولسان حاله يقول:

أنا قُرْبَ النجوم والجارُ فَرْقَدْ ... وبقلبي شمسُ المجرّةِ تُوقدْ
موكبي العنفوانُ، يُذكي اشتياقي ... لزمان فيه العملاقُ يُولَدْ
فيه ألقى حقيقتي تتخطّى ... حاجزَ الوَهمْ نحوَ فَجْرٍ تَجَدَّدْ
فيه يندك السورُ تحت يميني ... والأباطيلُ سحرُها يتبدَّدْ
لا دجى الليل يخطفُ العزَم مني ... كيف هذا؟ ولا طريقي تُوصَدْ

---

(١) «استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس» لابن رجب الحنبلي ص(١٣٩) ـ المكتب الإسلامي.